

إسهامات المرأة المغربية في النشاط الاقتصادي والاجتماعي في العصرين المرابطي والموحدي
(القرن 5-7هـ / 11-13م)

**The Contribution of Woman to the Social and Economic Life of the
Maghreb During the Almoravids and Almohads Eras -5-7 hijir/11-13
A.C**

الأستاذة /صفية ديب

أستاذة محاضرة(أ) بالمدرسة العليا للأستاذة -بوزريعة-

Dib.safiaaya@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/..../..

تاريخ القبول: 2020/..../..

تاريخ الاستلام: 2020/05/24

ملخص:

سطرت المرأة المغربية في العصرين المرابطي والموحدي، أسطرا من نور في جميع المجالات، حيث كانت أديبة وشاعرة، وفقهية، ومحدثة، وطبيبة، ومساهمة في أعمال البر والإحسان، ومنتجة في الحقول. كما تعاطت أيضا أنشطة وأعمال وحرف متنوعة كانت تؤديها داخل البيت وخارجه. ومن أهمها حرفتي التمريض والتوليد- أي مهنة القابلة - التي اعتبرها العلامة ابن خلدون من الصنائع وكذا نسخ الكتب، والتعليم إلى جانب الرعي، والدباغة والنسيج، والحياكة، والطرز، وغزل الصوف، إضافة إلى صناعة الخبز، كما تعاطت أيضا التجارة.

وبهذا النشاط الاقتصادي للمرأة المغربية المتميز في جميع مجالات الحياة، يمكن أن نقول أنها ساهمت في ازدهار بلدها، رغم أن نشاطها أقل من نشاط الرجل.

الكلمات المفتاحية: المرأة، المرابطين، الموحدين، المساهمة الاقتصادية والاجتماعية، الخياطة، النسيج، التجارة، النشاط. المغرب، الطرز.

Abstract:

During the periods of Almoravids and Almohads, the woman played a significant role in the social and economic development of the Maghreb. For instance, she was a woman of letters, a poet, a lawyer, a doctor, a nurse and a midwife. Moreover, she invested in tanning , embroidery , weaving , bread-industry and many other professions which the thinker Ibn Khaldoun noted . Thus , the activity of the Maghreb woman was not confined to female tasks and professions in general, some of them were even more professional in the world of man such as the wax industry and commerce . In fact, through this remarkable varied economic dynamism , the Maghreb woman significantly contributed to the social and economic growth and prosperity of her society even though her activity was inferior to that of man .

Key words: Maghreb, woman, activities, Almoravids, Almohads, social and economic contribution, prosperity.textile.sewing. trading .

المؤلف المرسل: صفية ديب

1. مقدمة:

يحتل الإنتاج النسوي في العصرين المرابطي والموحدي مكانة هامة في الفنون التقليدية التراثية، وهو دليل مادي على إسهام المرأة في مجال الحرف والصنائع كالنسيج والحياكة والخياطة والطرز والغزل، وتشكيل الفخار، والدباغة . كما دخلت المرأة عالم الشغل والاستزاق من يديها، فهي البائعة والمشتريّة داخل الأسواق وخارجها، كما مارست الصناعة الطيبة بكل فروعها، وكذا الكتابة والخطاطة والتدريس . إلى جانب مشاركتها للرجل في العمل الفلاحي كالزراعة والحصاد وجني الثمار . وفي هذه الدراسة سنعرض لبعض الأمثلة من النشاط الاقتصادي والاجتماعي للمرأة، وإسهاماتها في مجال الحرف والصنائع المتنوعة، وفي مجال الزراعة، والرعي، والتجارة، في العصرين المرابطي والموحدي . وكان الهدف من هذه الدراسة، هو إبراز دور النساء في المجال الاقتصادي والاجتماعي، هؤلاء النسوة اللواتي خطون خطوات ثابتة في درب الحياة، وتحّدّين كل العراقيل التي اعترضت سبيلهن، فتجاوزن الأسوار التي نصبت بين عاملهن، وعالم الرجال . فدخلن عالم الشغل من بابه الواسع، غير مباليات بعواقب بعض الوظائف الشاقة التي ليست من اختصاصهن .

وكذا تسليط الضوء على شهيرات النساء المغربيات ، اللواتي كان لهن في تاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد المغرب نصيب.

أما عن منهج الدراسة ، فقد اعتمدت على منهجية علمية قائمة على استقراء وتحليل مختلف النصوص التاريخية ، المستقاة من مصادر متنوعة ، والاعتماد في ذلك على المنهج الوصفي ، وبهذه المناهج بنيت هذه الدراسة .

إنّ مداخلتني تجيب عن التساؤلات الآتية :

- هل كان للمرأة المغربية اهتمام بالحرف والصنائع ؟
- ماهي المجالات التي شملت حرف المرأة المغربية ؟
- وماهي أهم حواضر المغرب الاسلامي التي شملت حرف وصنائع المرأة ؟
- وماهي أسباب ودوافع المحفزة للمرأة المغربية للإسهام بالحرف والصنائع ؟
- وماهي العوامل المساعدة للمرأة المغربية امتهاها لهذه الحرف ؟
- وماهي الإسهامات الاقتصادية التي اهتمت بها المرأة المغربية ؟

2. المجال الاقتصادي للمرأة :

2.1 النشاط الحرفي:

يعد القطاع الحرفي الانتاج الثاني في المغرب في العهد الموحدى بعد الفلاحة .ولقد انتعش انتعاشا ملحوظا وبالأخص إبّان الفترة الأولى من الحكم الموحدى ، وذلك بسبب انتشار الأمن والاستقرار، وتوفّر الشروط المادية اللازمة، علاوة على اهتمام الخلفاء الموحدين بالحرفيين والسهر على سلامة أبدانهم وأرواحهم (بن عذاري ، 1983، صفحة 147). وفي هذا الصدد تذكر المصادر أن فترة عبد المؤمن كثر سكانها ، وتألّق الناس في الملابس والمراكب والمباني والمعاون والأبنية ،فاستجادوا وتفنّنوا في اتخاذها وانتقائها . (عبد المالك ، 1967، صفحة 275).

2.1.1 الغزل والنسيج:

وهي من أشهر الحرف الاقتصادية التي احتفظتها المرأة في المغرب ، كما كان دورها بارزا في الصناعات الصوفية والقطنية والحربية (ابن عبدون ، 1955، صفحة 55). وكانت المرأة تنسج في مناسج عائلية في المدن، وأغلبها في الأرياف والبوادي. وأصبح المغزل هو الآلة الموجودة دوما في كل بيت ،فهو

بسيط يوضع في بهو المنزل عادة أو في الغرفة الأكثر إضاءة حتى يمكن من صنع المنسوجات المختلفة ،
(عبد الواحد محمود ، 1995 ، صفحة 35) وحرفة الغزل هي أول الحرف التي تمتهنها المرأة، لمساعدة
الزوج في تحسين الوضع الاجتماعي للأسرة، أو في حالة فقدان العائل أو الولي. فتصبح حينها مسؤولة عن
نفسها وعن أولادها.

والظاهر أن الجغرافيين كثرت مشاهدتهم في هذا المجال في أكثر مدن المغرب. فهذا ياقوت الحموي
عبر عن إعجابه بمهارة المرأة في سجدلماسة قائلا: "لنسائهم يد صنّاع في غزل الصّوف فهنّ يعملن منه كلّ
حسن بديع (ياقوت الحموي، (د،ت)، صفحة 219). فكّنّ يسترزقن من غزل الصّوف، فيبعن الإزار
الصوفي بخمس وثلاثين دينارا فأكثر، كما كن يصنعن الغنارات ويبعنها بالثمن نفسه (حميدي ، 2011 ،
صفحة 272)

ويضيف آخر عنهن فيقول: "وتنسج النساء ثيابا من الصّوف على شكل أعطية السرير، لكنها
دقيقة رفيعة حتى يظن أنها حرير تباع بثمان مرتفع في مدن بلاد البربر كفاس وتلمسان (الوزان ، 1938 ،
صفحة 132) ،

ويشير الوزان في قوله :فالنساء بضواحي تادلا ماهرات جدا في خدمة الصوف يصنعن منه
البرانس والأكسية الفاخرة فيكسبن هكذا من المال أكثر مما يكسبه الرجال (الوزان ، 1938 ، صفحة
154)

ومّا يذكر أن " زينب شقيقة محمد بن تومرت التي عاشت في كنف دولة المرابطين كانت تمتهّن غزل
الصّوف وبيعه. ومن عمل يدها كان يقتات ابن تومرت كل يوم رغيفا وقليلًا من الزيت (ابن الأثير ،
1998 ، صفحة 294).

ويذكر أيضا أن إحدى النساء أعدت كنفها من عمل يدها ، بحيث زرعت في أرض موروثه لها الكتّان ، ثم
صنعت من هذا الأخير كنفها ، وذلك تحريّا للحلال (بن الزيات، 1984 ، صفحة 187).

في حين أجبرت بعض النساء من الطبقة العامة على التكتّسب بأمر من أزواجهن ،وفي هذا الشأن يقول
البكري: " وأهل السوس وأغمات أكثر الناس تكسبا وأطلبهم للرزق يكلفون نساءهم وصبيانهم التحرف
والتكّسب (البكري أبو عبيد ، صفحة 63)

وهناك صورا لأسر معوزة أدّى بها حالها المزري إلى امتهان نسائها هذه الحرفة بغية تحسين وضعها
الاقتصادي .

فهناك امرأة أمرت ابنها ببيع غزل الصّوف وشراء حبز وزيت لأنّ هذه أول ليلة من رمضان فهي ليلة مباركة. ، (محمودي ، 2009 ، صفحة 112)، ويضاف إلى هذه الحالة، امرأة فقيرة دفعت لزوجها غزلا ليبيعه ويشترى بئمنه أضحية العيد (التادلي، 1984، صفحة 273) .

يمكن اعتبار هذه العلاقة بين الزوجين في هذه الطبقة أنها قائمة على نوع من التعاون والتضامن الذي فرضته الحياة من خلال عمل المرأة داخل المنزل والزوج خارجه.

وتضمّنت نوازل ابن رشد عقد بيع تم بين امرأتين، وآخر حول مساهمة امرأة في شركة رحي، وهو ما يثبت المقاربة التشاركية للمرأة في سوق العمل، ودورها المحوري في المعاملات المالية والشركات المرهجة (التليلي ، 1987 ، صفحة 183)

وقد اختلفت وتنوّعت مادة الخام المستعملة في حرفة النسيج فكان منها الحرير والصوف والكتان ،فتنسخ البدويات بالخصوص الصوف ، بزخرفته حسب الغرض بالحرير أو بالقطن (ابن عبدون ، 1955، صفحة 55) ،لتحضير الملابس، كذا الحايك الذي عبارة عن قطعة كبيرة من الصّوف أو القطن، يبلغ طوله حوالي 5 أمتار يخفي وجه المرأة وكل جسدها. وقد تتعجّر المرأة بالمعجار وتضعه على وجهها، وهو من الأقمشة الفاخرة التي ترتديه المرأة الغنيّة عند خروجها من البيت 1989 (الإدريسي ، 1989، صفحة 562).

كما مارست المرأة صناعة الزرابي التي كانت تنتج في مختلف القبائل المغربية، وتعتبر أساس الأثاث المنزلي، وتختلف الزربية في المدينة عنها في البادية من حيث الاشكال والألوان¹². (عاتي ، 2019)

يبدو أن صناعة النسيج لم تقتصر فقط على نساء العائمة، بل مارست هذه الحرفة نساء من عليية القوم، فتذكر المصادر أن بنات المعتمد بن عبّاد بعد تحجيرهن من إشبيلية إلى أغمات وحين إقامتهن الجبرية بأغمات كن يغزلن الصوف للنساء بالأجرة ليصلحن بعض حالهن. ولنا وصفا أدلاه لنا عبد الواحد المراكشي عن حالهن في قوله " وبلغ من حال المعتمد بن عبّاد بأغمات أن آثر محظياته وإكرام بناته التجأت إلى أن تستدعي غزلا من النساء تسدّ بأجرته بعض حالها ، وتصلح به ما ظهرهن اختلالها، فأدخل عليها فيما أدخل غزل لبنت عريف شرطة أبيها" (عبد الواحد ، 1967 ، صفحة 229).

ويضيف وصفا لوالدهن في أبيات شعرية متأسفا قائلا: ترى بناتك في الأطمار جائعات يغزلن للناس ما يملكن فظهيرا (ابن بسام ، 1979 ، صفحة 227).

وقد نبّه الفقهاء إلى ضرورة أن يكون للنساء مواضع خاصة بهن في الأسواق وقد وصف الوزان ما كان يحدث في أسواق الغزل من مشاحنات ومشادات لفظية بين النساء الممهتات وبعضهن. (الوزان ، 1938، صفحة 152).

كما عرفت إحدى الأسواق المغربية بسوق الغزل لأن النساء كنّ يجتمعن فيها لبيع ما تنتجه أيديهن من منسوجات صوفية، وتنشيط الدورة الاقتصادية. (كربخال ، 1989، صفحة 152)

والجدير بالذكر أن صناعة النسيج لم تخل من الغش وتحايل النساء للكسب الوافر، إذ بعد إتمام عملية الغزل يبللنه بالماء ثم يضعنه على شكل كبات ليثقل في الميزان وليبدو بمظهر جميل ولذلك أمر ابن عبد الرؤوف بائعات الغزل بتبييسه في الشمس وحذى حذوه في هذا الرأي (ابن عبدون Rachel 37. 1960)

2. 1. 2 التطريز:

الطرز من الصناعات التقليدية، فهو فن من الفنون مارسته المرأة الموحدية بإتقان كبير إلى درجة أن الخليفة يعقوب المنصور الموحدي(580- 595 هـ / 1184- 1198م) وبسبب تورّعه " منع النساء من الطرز الحفيل (بن عذاري ، 1983، صفحة 174).

ومما لا شك فيه أنّ النساء الأندلسيات كان لهنّ الفضل في تقدّم هذه الصناعة، حيث جلبن معهن خبرة ودراية في مجالات مختلفة كالغزل والحياطة والطرز، بعد الهجرة الأندلسية نحو بلاد المغرب . ومع مرور العصور تطورت هذه الحرفة عبر المدن المغربية، كالطرز الزمزمي نسبة إلى مدينة أزمور . والطرز الرباطي نسبة إلى مدينة الرباط، والطرز الفاسي نسبة إلى مدينة فاس(ديب ، 2012، صفحة 150).

والظاهر أن هذا النوع من الصنعة شهد انتشارا كبيرا وتطورا ملحوظا في العصر الموحدي والدليل على ذلك ما ذكره صاحب جني زهرة الآس أنه" بلغ :عدد الأطرزة ثلاثة آلاف وأربعة وتسعين ، (الجزنائي، 1991، صفحة 44).

2. 1. 3 التجارة :

كانت بعض الأسر المغربية تقوم بتربية الدواجن في منزلها، بغية بيع بيضها لتشتري به منافع غذائية أخرى كالبقول وغيرها ، وبيع الدواجن من أهم السلع التي تتراد النساء البدويات لبيعها في الأسواق

الحضارية. إضافة إلى تربية الأبقار ومنها كانت تستخرج الحليب والزبدة والجبن (النراوي ، 2018 ، صفحة 25).

فقد أشار البيذق إلى إتقان نساء منطقة غمارة صناعة الجبن ، فتقوم النساء بصنعه بكمية كبيرة تكفي للاستهلاك السنوي يدخرها، وغالبا ماكن يقمن بذلك في فصل الصيف استعدادا لفصل الشتاء، (البيذق ، 1986 ، صفحة 38).

كما يذكر البيذق حسب ما سجّله عن رفيقه ابن تومرت في مذكرات طريق عودتهما نحو مراكش مجموعة من النسوة في مدينة تاوريت وهن يعين مادة اللبن في الأسواق .وفي السياق نفسه عند وجودها بتلمسان وحدا نسوة يعين اللبن، فنهاهن ابن تومرت عن التبرج، ولم يمنعهن عن البيع. ممّا يوحي أن المرأة لم تمنع من الدخول إلى السوق. (البيذق ، 1986 ، صفحة 35)

إلى جانب تربية الدواجن والأبقار ،اهتمت نساء البوادي بتربية دودة القز ،ورعي الماشية ،والعناية بجلودها ،وجني الزيتون وقطف العنب، وجلب الحطب وحرث الأرض،وحصاد الزرع ودرسه وجمعه وطحنه وتخزينه (دندش، صفحة 303).

وتطلعنا إحدى نوازل العصر المرابطي أنّ إحدى النساء ساهمت مساهمة فعالة مع زوجها في عمله خلال كل مراحل الموسم الفلاحي (العبدري ، 1977 ، صفحة 08).

ويذكر البيذق أن أم عبد المؤمن بن علي خليفة الموحدين المسماة "تعلو" كانت تخرج أثناء الحصاد مع زوجها وهي حامل بعبد المؤمن ، (البيذق ، صفحة 34)

فمن خلال كتب الحسبة يتّضح أن بعضهن كنّ يعين إنتاجهن بأنفسهن في الأسواق المختلطة ، وأحيانا أخرى يكلفن بعض الشباب بذلك الأمر الذي قدرت خطوته، وما ينجم عنه من فساد، لذا رأى ابن عبدون ضرورة وجود سوق خاص بهن ،أو تكليف شيوخ ثقات متقدمين في السن لبيع إنتاجهن، (ابن عبدون ، 1955 ، صفحة 47). وتتميز بعض البدويات التي تضطر الظروف بهن إلى بيع الخبز الذي تصنعه في منزلهن والفواكه والخضر والبيض والجبن على قارعة الطرق المعتادة من طرف المسافرين، وعرفن بالنشاط الدائم من أجل الكسب الحلال (دندش، صفحة 303). "وكانت نساء الحضر يقمن ببيع ما يصنعن بأنفسهن في الأسواق، فيشير الوزان عند حديثه عن سوق الغزل بفاس لا يمكن الخروج منه إلا بجهد لكثرة ما به من نساء يختصمن في غالب الأحيان ويتحول هذا الخصام إلى عراك وقذف بأشبع ما يمكن من الشتائم فيضحكن الآخرين (الوزان ، 1938 ، صفحة 152).

ويضيف مارمول قائلاً: " ويقام فيها يوميا سوق يستمر من الزوال إلى ساعة الثانية ، يزدحم فيه جمهور من النساء اللاتي يأتين لبيع وشراء القماش حتى لا يستطيع المرء أن يدور فيها، وغالبا ما يتضاربن، وينتف بعضهن شعور البعض " (مارمول ، 1989 ، صفحة 152).

وتحدر الإشارة أنه وجدت أسواق للخدم وكانت تشرف على أحدها امرأة تسمى "الأمينة" كما هو الشأن بالنسبة للفترة المرابطية. يعينها في غالب الأحيان المحتسب لمراقبة بيع الإيماء والشهادة على أحوالهن وعلى خلوهن من الحمل واستبرائهن واختبار ما يعرفه من صنائع (ابن عبدون ، 1955 ، صفحة 47).

كما شاركت البدويات في مهنة الرعي أو بيع المواشي ،ونستشف ذلك من البيدق في قوله: "سمع المعصوم) يقصد ابن تومرت) بالجشر اللهو وصراخ الرجال والنساء، فقال :قوموا غيروا هذا المنكر" (البيدق ، 1986 ، صفحة 42).

2. 1. 4 الدلالة (السمسارة):

مارست بعض النساء مهنة الدلالة، فنرجح أنهن كنّ يقصدن البيوت حاملات وعارضات لبضائعهن ،ولا سيما الملابس النسائية من أقمشة حريرية، وحلي وأدوات زينة ، (أحمد موسى ، 1983 ، صفحة 284) ويتقاضين أجورا عن البيع. والقبض ومثلهن أيضا المتصرفات اللاتي يقبضن حاجات النساء من الأسواق خاصة للسيدات اللواتي يمنعن من الخروج تحت ظرف ما (العبدري ، 1981 ، صفحة 253) .

3. المجال الصحي:

3. 1 الطب والتوليد والتمريض:

كانت المرأة وماتزال لا تتوانى عن المساهمة في خدمة المجتمع ، فقد برزت في صناعة التطبيب والتوليد والتمريض والإسعاف الصحي في السلم والحرب.

ومما لاشك وجود ممرضات كنّ يصهرن على إسعاف المرضى بالبيمارستانات المنتشرة في المغرب الأقصى في العصر الموحد، فلا يعقل أنها كانت خالية من ممرضات يسهرن على راحة المريضات وخاصة أننا نعلم أن الخليفة المنصور الموحد(580هـ / 1184م) أنشأ بيمارستان يحوي على قسمين قسم للرجال وقسم للنساء (عبد الواحد ، 1967 ، صفحة 286).وعن صناعة التوليد " فيعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه برفق وتهيئة أسباب ذلك ،وما يصلحه بعد الخروج"،وهي مختصة بالنساء ، وتسمي صاحبة هذه الصناعة " بالقابلة (ابن خلدون ، 2010 ، صفحة 334) ،وكان الطلب

عليها معتبرا إلى درجة ارتفاع سعر خدمتها، لأنها الوحيدة التي يمكن أن تقدّم المساعدة ، وأيضاً لما لها من علاقة من ظهور انسان جديد وما يعكسه ذلك من تجديد الحياة واستمراريتها ، وادخال البهجة والسرور داخل البيوت ، كما يحفظ دورها في الحفاظ على الأرواح ورعايتها ، ودفع الألم والمرض وخطر الموت عن أم الجنين (العمري ، 1983 ، صفحة 37).

فهي تقوم بمهمة التوليد وما يتبعها من عناية ورعاية الأم الحامل قبل الولادة طوال أشهر الحمل وأثناء الولادة ، ولا نجاح لهذه المهمة إذا لم تحسن القابلة التصرف إزاء بعض المواقف الصعبة التي قد تتعرض لها الأم الحامل أثناء الولادة في حالة عدم الخروج المشيمة ، أو عند موت الجنين في بطن أمه ، أو خروج الجنين على غير الوضع الطبيعي. ومهنتها تقوم مقام -طبيب النساء والتوليد -، كما تقوم أيضا بدور طبيب الأطفال منذ مرحلة ولداهم حتى مرحلة الفطام ، فابن خلدون يراها أعلم وأبصر بهذه الصنعة من الطبيب الماهر (ابن خلدون ، 2010 ، صفحة 334).

وتلك شهادة عظيمة تتعلق بالمهارة الطبية للمرأة من مؤرخ علامة عرف بتحرّي الصواب.

وقد احتفظت كتب التراجم بأسماء بعض نساء القرنين (5-6هـ / 11-12 م) اللواتي برزن في العلوم الطبية كأمر بنت أبي مروان بنو زهر (ت 580هـ / 1184م) التي وصفها ابن أبي أصيبعة "بأنها متقدمة في الطب ماهرة في التدبير والعلاج" وحسبنا أنها كانت تخرج إلى قصور الخلفاء ، وتتنظر في علاج أمراض نسائهم وأطفالهم وإيمائهم . حيث حظيت في دولة الموحدين وخصوصا عند الخليفة المنصور الموحد الذي لا يقبل أحد سواها (ديب ، 2017 ، صفحة 37). والقول نفسه ينسحب على ابنتها (ت 595هـ / 1199م) حيث كانت ماهرة في الطب كوالدتها عارفة بأمراض النساء والأطفال (الكانوني ، 2013 ، صفحة 92). وممّن تميزت أيضا في صناعة التوليد فاطمة الحاجية الفاسية أخذت هذه المهنة عن القوابل اللواتي سبقنها فيها (الكانوني ، صفحة 92). إضافة إلى والدة الشاعر أبو بكر محمد بن يحيى الشلطي (ق 6-12م) ويلقب بابن القابلة السبتي (النيروي ، صفحة 15) ، ويبدو أن أمه عملت بالقبال في مسقط رأسه بمدينة سبتة المغربية. كما كان للقابلة دور آخر، حيث يلجأ إليها القاضي أثناء بعض القضايا الأخلاقية والمشاكل الأسرية كالزواج والطلاق . وغالبا ما يطلب من القوابل فحص النساء المعنيات في هذه القضايا ما إن كن حوامل أم لا (مزدود ، 2009 ، صفحة 216) .

وقد ساعدها في ذلك ظرفية فقهية وأخلاقية وأعرافاً اجتماعية سمحت لها هي فقط في بالتواجد في مجتمع النساء، تطلع عليهن وتقر حالتهم في مجال أغلق فيه الباب أمام الرجال ، فاستأثرت به وحدها

وقامت مقام الرجال في الشهادة والإقرار والتحقق وهو ما عرفه الفقهاء بالشهادة على البدن، وذلك للضرورة الفقهية. (أربوح ، 2013، الصفحات 211-212)

وممن نبغ أيضا في صناعة الطب التقليدي في المغرب في العصر الموحدى عائشة بنت عبد الرحمان بن الطاهر البطرطيشية الجراحية ، تربت في بيت علم وتصوف وفضائل، فكانت ناسكة قاننة موسومة بالتربية الروحية ، وكانت لها خبرة في التداوي بالأعشاب (السعدي، 1987، صفحة 95) أيضا ،فاطمة الحاجية الفاسية -السالفة الذكر- التي جمعت إلى جانب مهارتها وصنعتها في فن الولادة بمعرفة ممتازة بالأعشاب وفوائدها الطبية (الكانوني ، 2013، صفحة 205).

كما مارست المرأة المغربية نوع آخر من العلاج وهي حرفة الحجامة عند النساء، وهذا في الأسواق ، فقد زاولته أم علي ابنة أبي غالب الإدريسي(ت 801هـ / 1398م) وعلمت هذه الصناعة لابنها (النبراوي ، 16). وكثيرا ما كانت تلجأ المرأة إلى الحمامات المعدنية ، لما تحويه من مياه ساخنة وأملاح معدنية مشبعة بالكبريت بغية العلاج، وكانت مقسمة إلى قسمين ،قسم خاص بالرجال والآخر للنساء (الكتاني ، 2004، صفحة 270) ، ولا نستبعد أن المرأة مارست بها مهنة معلمة الحمام ،وهي تتعلق بتسيير الحسن للحمامات بوجه عام ،و بمساعدة الخادمة التي تسهر على نظافته عقب خروج النساء منه.

4. المجال الاجتماعي للمرأة :

4. 1 الرضاعة والحضانة:

من بين المهن التي كانت تزاو لها المرأة داخل كنفات بيتها،الرضاعة والحضانة . إذ أن علية القوم كانوا يلجؤون دائما إلى المرضعات فيعهدون إليهن بفلذات أكبادهن لإرضاعهن والعناية بهم (الشعيري ، د،ت) ، صفحة 52).وكانت تلجأ بعض الأمهات المرابطيات إلى جلب بعض المرضعات لأولادهن، ومربيات للأطفال معهن ،وكان يستحسن اللائي يجلبن من السودان لأنهن أكثر رحمة وحنينا على الأطفال (حميدي ، 2011، صفحة 220).

وكانت تطرح عدة مسائل على الفقهاء متعلقة بمؤلاء المرضعات. اتضح منها استخدام المرضعات كان أكثر انتشارا في العائلات العريقة (الونشريسي ، 1981). وكانت تجلب من أماكن بعيدة عن أهلهن، مما سبب بعض المشاكل للطفل وأهله ،عندما تسافر مرضعته لزيارة أهلها (حميدي ، 2011، صفحة 222) .

وكانت أجرة المرضعة تتغير بتفاوت المستوى الاجتماعي للأسر وبالتالي تتفاوت صعودا وهبوطا باستكمال المرضعة للمواصفات وكذا سمعتها وخبرتها (النبراوي ن.، صفحة 20).

فالأجرة تزيد بما يطرأ على السوق من ارتفاع وهبوط في الأسعار، فهي مهنة مرتبطة بسعر السوق، وأسعار السلع المختلفة (النبراوي ، صفحة 20).

والجدير بالذكر أن أجر المرضعة لها وحدها، ولا يحق لزوجها أو وليها أن يأخذه رغما عنها، أو يشاركها فيه، فهذا العمل يختلف عن أي عمل آخر تقوم به المرأة من الأعمال اليدوية، لأنه كما قال الفقهاء -اللبن ملك منافعها - فلا يجوز للزوج أخذه - . وتدور مهنة المرأة المرضعة ما بين إرضاع الطفل وفضامه حين يصل إلى سن الفطام، وكذلك العناية بنظافته الشخصية، ونظافة أدواته وملابسه (أربوح ، صفحة 210).

أما عن الحاضنة فيكون عملها دوما مرتبطا بالأوساط الاجتماعية العليا فنجدها في قصور الخلفاء، و الأمراء والأعيان، وعلية القوم .

ومما ينبغي الإشارة إليه أن هذه المهنة تحظى بالاحترام الاجتماعي والأدبي الكبير، خاصة من قبل من تولت الحاضنة تربيتهم ، فهي تظل على علاقة بهم حتى وإن استقروا واستقلوا ببيوتهم وحياتهم الخاصة ، فهم لا ينسون فضلها وتعبها في تنشئتهم ورعايتهم ، لذا تلجأ بعضهن إذا كانت مربية لأحد من الخلفاء والأمراء للحصول على مبتغاها (حميدي ، الصفحات 36-50).

4. 2 خادمة البيوتات :

انحصر عمل المرأة على الخصوص في بعض العائلات في رعاية أطفالها وزوجها، وما تتطلبه هذه الرعاية من جهد المرأة في القيام بالشؤون المنزلية من طهي طعام وكنس وتنظيف... الخ ، مما جعل دورها ينحصر بين جدران البيت ، وبهذا تصبح تابعة للرجل من حيث الاستزاق .وأشارت عدّة نوازل على امتلاك بعض النساء لخادمت ، لأنهن قد ترفعن عن أداء الأعمال المنزلية. وكانت الطباخات السودانيات هنّ المفضلات ، لأنهن يحسن إعداد الأطعمة ولا سيما أصناف الحلويات ، فلا يوجد أحذق بصناعتها منهن (حميدي ، صفحة 216).

وقد وجدنا طبّخات في البيوت المغربية من الأحرار، وتذكر النبراوي نقلا عن "كتاب الطبخ بالمغرب والأندلس" ذكرا ضمينا لعمل المرأة كطباخة في المنازل ، فذكر أن سيدة تدعى أم حكيمة كانت لها

إسهامات في الطبخ ، فقد ابتدعت صنعة المرق الأخضر في الطعام المغربي الأندلسي (النبراوي ، صفحة 17)

ونجد أنّ المحترفات لهذه المهنة قد أوعزهن الحاجة المادية ، ويغلب عليهن أهن غريبات عن المجتمع ووافدات من مجتمعات أخرى مختلفة في العادات والعرق أيضا.

واستلزم عمل المرأة الحرّة في خدمة البيوت عقد موثق بينها وبين من يستأجرها (الرجل) موضّح فيه ما تقوم به من مهام ومالها من أجرة نقدية وعينية وكذلك مدة الإيجار متى تبدأ ومتى تنتهي (النبراوي ، صفحة 17).

والظاهر أن خدمة المرأة في البيوت انحصرت على الخصوص في بعض العائلات الغنية ، وما يتطلبه هذا العمل من جهد وشقاء في القيام بكل الأشغال المنزلية من طهي أحيانا وتنظيف وكس وغسل الثياب والأواني (دندش ، 1990 ، صفحة 17) وغيرها من الأعمال.

4. 3 الماشطة :

وهي التي اختصت بتحضير العروس يوم زفافها ، ولعلها من أهم الحرف النسائية لاقتراها بصفة الجمال والزينة ، وهو ما لا تتخلّى عنه المرأة طوال مراحل عمرها المختلفة وتنفق عليه الكثير .
ففي إحدى النوازل الفقهية المغربية اشترطت ماشطة على زوجها في عقد الزواج -المكتوب - أن تستمرّ في العمل بعد الزواج غير أنه بعد ذلك منعها من مزاوله عملها ورفع الأمر إلى القاضي (الونشريسي ، 1981 ، صفحة 278).

والماشطة ليس لها مكان مخصّص للعمل فهي التي تذهب للنساء في بيوتهن وتمرّ عليهن وتطرق الأبواب بصفة يومية تعرض خدماتها لهنّ .

5. المجال العلمي والثقافي للمرأة :

5. 1 الخطاطة :

وهي صناعة الرسوم والأشكال الحرفية التي تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس .وهي صناعة شريفة الصنائع (النبراوي ، صفحة 13).

ومن أبرز النساء التي اشتهرت بخطها ونسخها للكتب ابنت العالم أحمد بن عبد الله بن الخطبة اللخمي (ت 560هـ/1164م) الذي أشرف على تعليمها هذه الصناعة (عبد الواحد ، 1967 ، صفحة 80). ويذكر الزركلي أن العبدرية -السابقة الذكر- ذات ملاحظة خط مكنها من نسخ الأخبار

للغزالي (الزركلي ، (د، ت)، صفحة 217). وكذا ورفاء بنت يتنان الطليطلية ت بعد (540هـ / 1205م) سكنت مدينة فاس وكانت بارعة الخط (التازي ، 1992، صفحة 102) .

5. 2 التعليم :

إن تعليم النساء للنساء كان أمراً شائعاً في المغرب الأقصى ، إذ نبغت كثيرات ممن احترفن كالأديبة حفصة الركونية (ت 581 هـ / 1185م) من أهل غرناطة ورفاتها في مراكش، كانت تشرف على تعليم النساء في دار المنصور الموحد، واصبحت معلمة رسمياً (الزركلي ، (د، ت)، صفحة 292). ولم يقتصر تعليم النساء العلم، وإنما شمل التعليم أيضاً بعض الحرف اليدوية، التي بفضلها انتشرت بعض المدارس عرفت بالمغرب الأقصى بدور المعلمات وهذا عبر المدن وأزقتها، وهي من إنشاء سيدات فضليات، وقد عرفت بالخبرة بالصناعات اليدوية مثل الفصالة والخياطة والتطريز بسائر أنواعه والغزل والنسيج. وكانت البنات في سائر الطبقات يقصدن تلك الدور على النحو المعروف اليوم بمراكز التكوين المهني (التازي ، 1992، الصفحات 28-29).

6. حرف متنوعة للمرأة :

مارست المرأة حرفاً أخرى ذكرتها لنا المصادر ، من أجل كسب العيش نذكر منها **غسل الموتى** من النساء (الغبريني ، 1979، صفحة 241) ، إضافة إلى **صناعة الخبز**، ولهذه الحرفة أهميتها في حياة المجتمع إذ يعد الخبز غذاء أساسياً فكانت المرأة تعجن الدقيق في منزلها ثم يحمل بعد ذلك إلى الفرن ليطهوا، بعد أن تكون كل أسرة قد ختمت الأرفغة بطابع خاص يحول دون اختلاطه مع خبز الآخرين (التادلي، صفحة 181). ويبدو أن المخابز توزعت في الأحياء فمدينة فاس كانت تضم أيام المنصور الموحد وابنه الناصر 1170 من أفران الخبز، إلى درجة أن دخانها شكل إزعاجاً للناس (الجزنائي، صفحة 44).

إضافة إلى **صناعة الفخار**، الذي كان يشكل أشهر الصناعات في المغرب الموحد، فيعد من الأعمال المتخذة من الأرض والتار، فالوسائل الضرورية المستعملة لهذه الصناعة تمثلت في الأفران والحطب. و ما يدل على تزايد أهمية هذه الصناعة، أنّ مدينة فاس كانت تضم لوحدها 888 داراً (ابن أبي زرع، 1972، صفحة 48) كانت تنتج أنواع القدور (التادلي، صفحة 414) والقلال إضافة إلى القصع (التادلي ، 414) (التادلي، صفحة 414) والخواوي، وغير ذلك مما كان موجهاً للاستعمال المنزلي. فقد أشار كل من ابن أبي زرع والجزنائي في معرض حديثهما عن مدينة فاس إلى هذه الصناعة وأضافا لائحة

بأسماء الحرف التي كانت منتشرة بالمدينة أيام الخليفة الموحي يعقوب المنصور وابنه الناصر، وقد سبق وأن أشرنا إليها سابقا.

7. خاتمة

ونخلص في الأخير أن المرأة المغربية في العصر المرابطي والموحي قد أسهمت في مختلف الأنشطة ، فإلى جانب أنها كانت ربة بيت ومدرسة للتربية وراعية لأفراد أسرتها ، كانت أيضا مشرفة على الحقل ، وصانعة ماهرة في الحضر والوبر . وأغلب الحرف التي مارسها المرأة كانت وراثية تنتقل بين الأبناء ، وذات طابع عائلي .

- إن المرأة البدوية هي أكثر نشاطا من نظيرتها في المدن، إذ تسعى بنفسها لسد الاكتفاء الذاتي لأسرتها، وما تستدعيه الحياة في الأرياف إلى توفير الحطب وممارسة الزراعة بكل أصنافها إلى جانب الصناعة أيضا - كما مر بنا سابقا -

- كما يظهر لنا جليا أن المرأة في العصر المرابطي والموحي مارست أدوارا انتجتها خارج بيت الزوجية ، دون أن تتنكر لأوموتها ، لنستكشف أن تاريخ المغرب ملئ بنماذج النساء اللواتي جعلن من الأمومة والعمل خارج البيت وجهان لعملة واحدة ، فجمعن بين دور الأم ودور العاملة في الحقل وفي الأورش الحرفية ، وفي الأسواق ، وفي مجال صناعة الطب بكل فروعه ، وكذا صناعة الخط ، وغيرها من الحرف .

- لقد احتلت المرأة المغربية موقعا محترما في عمليات الإنتاج في المزارع والأورش وفي الغزل والنسيج والحياكة والأسواق . ولا يخامرنا شك في أن وضعيتها المنتجة هاته فرضتها الظروف الاقتصادية ، وحاجة العائلة إلى مصدر ثاني يضمن اكتفائها الذاتي ، لذلك أسهمت مساهمة فعالة في جميع الميادين ، وإن كان يغلب عليها البساطة . كما أسهمت في بيع منتوجات في الأسواق . وبهذا كانت قد أسهمت في التنمية الاقتصادية لبلادها .

8. قائمة المراجع:

أبو بكر بن علي البيذق . (1986). أخبار المهدي بن تومرت . الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب .
أبو عبدالله محمد الإدريسي . (1989). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق . بيروت .

أبو الحسن ابن ابي زرع . (1972). الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس . الرباط : دار المنصورة للطباعة والوراقة .

- أحمد محمودي . (2009). عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدى . رؤية للنشر والتوزيع .
- التادلى بن زيات . (1984). التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس . (الطبعة 1، المحرر)
منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- الحاج أبي عبد الله محمد العبدري . (1977). المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبية على
بعض البدع والعوائد التي انحلت وبيان شناعتها وقبحها . المغرب .
- المراكشى بن عذارى . (1983). البيان المغرب -قسم الموحدين- . (ابراهيم الكتاني، المحرر) بيروت: دار
الغرب الإسلامي.
- المراكشى عبد المالك . (1967). الذيل والتكملة (المجلد السفر الخامس) . القاهرة: دار الثقافة .
- المراكشى عبد الواحد . (1967) . المعجب في تخلص أخبار المغرب . القاهرة .
- بن زيات التادلى . (1984) . التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس . منشورات كلية الآداب
والعلوم الإنسانية .
- صفية ديب . (2012). التربية والتعليم في تونس الحفصية. الجزائر .
- عبد اللطيف دندش . (1988). الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني
تاريخ سياسي وحضاري . بيروت : دار الغرب الإسلامي .
- عبد الله بن عبد العزيز البكري أبو عبيد . (بلا تاريخ). المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب . مكتبة المثنى
- عبد الله بن محمد سعدي . (1987). السيف المسلول فيمن أنكر على الرجراجين صحبة الرسول .
مطبوعات بمعهد الشعبي الصويرة.
- عبد الواحد أنور محمود . (1995) . معجم مصطلحات الصناعات النسيجية . مصر : مطبعة الأهرام .

عبد الواحد أنور محمود . (1995). معجم مصطلحات الصناعات النسيجية. مصر: مطبعة الأهرام.

عز الدين ابن أثير . (1998). الكامل في التاريخ (المجلد مجلد). بيروت: دار الكتب العلمية .

علي الجزائري . (1991). جني زهرة الآس . الرباط : المطبعة الملكية .

كربخال مارمول . (1989). افريقيا . الرباط : الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر .

لسان الدين ابن الخطيب . (1965). أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام (المجلد

ط2). بيروت: دار المكشوف.

محمد أحمد العبدى الكانونى . (2013). الطب العربى فى عصر الدول المغرب الأقصى . الرباط :

منشورات كلية الطب والصيدلة .

مليكة حميدى . (2011). المرأة المغربية فى عهد المرابطين -دراسة تاريخية . الجزائر : مؤسسة كنوز

الحكمة للنشر والتوزيع .